بقلم: موشيه ماخوبر

مَع المحاولات الصهيونية لتجديد مزاعمها الاشتراكيَة

□ البوروخوفيَة اسلوبٌ صَهيوني جَديد لجَذبُ الشبَان اليسَاريين الى حظيرتهَا

موشيه ماخوبر هواحد ابرز مفكري وكتاب الـ « ماتس بن » ، « المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية » ، وكانت « الهدف » قد نشرت في عدد سابق ترجمة لمقال بارز كتبه مع اثنين آخرين من المنظمة نفسها عن « الطبيعة الطبقية للمجتمع الاسرائيلي » ، ويعتبر من الكتاب التقدميين العارفين بطبيعة اسرائيل وبطبيعة تركيبها الاجتماعي والسياسي .

في المقال التالي ترجمة لمقال جديد كتبه ماخوبر عن « احياء البوروخوفية » و « باير بوروخوف » هو كاتب « اشتراكي » صهيوني برز في مطالع هذا القرن ، وتقوم الآلة الاعلامية الاسرائيلية باستخدامه الان ، واستخدام منطقه ، في محاولة لتحريف الولاءات الاشتراكية التي قد تبرز في اوساط الشبان اليهود في العالم .

ويجد ماخوبر انه من الضروري مناقشة « البوروخوفية » لهذا السبب بالذات ، وترى « الهدف » ضرورة ترجمة هذا المقال الهام الذي صدر في كراس خاص لانه يتضمن – بالاضافة لمنهجه العلمي المفيد – دحضا ماركسيا للاعيب دعاة الاشتراكية الصهاينة .

« الهدف »

يقوم جهاز الدعاية الصهيوني في الوقت الحاضر ، باحياء الايديولوجية البوروخوفية . اذ تنهمك شبكة كاملة من اليمينيين والموقفين الصهاينة في طباعة مؤلفات « باير بوروخوف » بعدة لغات اوروبية ، يكتبون شروحاتهم لهذه المؤلفات ، وينشرون بجهد التعاليم القديمة بين اليهود الشبان في سائر انحاء اوروبا الغربية والاميركتين .

ولاول وهلة ، يبدو هذا الامر غريبا ، لانه بعد الركود الطويل ، والذبول ، والاضمحلال ، لم يعد للبوروخوفية ، منذ سنوات ، وجود كقوة سياسية حية في الحركة الصهيونية . وفي اسرائيل ، انتهى حزب بوعالي تصيون حمول البوروخوفي (عمال صهيون ، الجناح اليساري) من الوجود في عام ١٩٤٨ ، عندما انضم الى مجموعتين كبيرتين « ليستا بوروخوفيتين » هما هاشومير هتسائير ، واحدوت هاعافودا لتشكيل حزب صهيوني يساري هو : حزب الماباي . وذلك يعني بالنسبة للبوروخوفيين استسلاما تاما في الميدان النظري وكذلك تصفية تنظيمية شاملة ان البرنامج الذي بتبناه الحزب المؤسس حديثا لم يكن قائما على مساومة بين البوروخوفية وايديولوجيات صهيونية بسارية اخرى ، ولكن ببساطة ، كان غير بوروخوفي (★) .

اتقسم القايام ، تنظيميا الى فريقين ، وعلى اية حال ، لم يشكل « بوعالي تصيون حمول » فريقا متمايزا ، غير انه اندمج مع احدوت هاعافودا ليشكلا الجناح اليميني للحزب الذي وقع تحت سيطرة الاخير . وقد انشق الماباي في حوالي اواسط الخمسينات ، فريق الجناح اليميني – لا زال يسيطر عليه احدوت هاعافودا ولكن بما في ذلك غالبية العناصر السابقة من بوعالي تصيون حمول – شكل بنفسه حزبا ظل لعدة سنوات شبه مستقل حتى اندمج بالجناح اليميني الكبير للماباي للديمقراطيين – الاشتراكيين الذي اعيدت تسميته « حزب العمل الاسرائيلي » ومنذ ذلك الوقت ، كان من الصعب ايجاد اي اثر لفريق بوعالي تصيون حمول ، فالبيتهم كانت كبيرة في السن في عام ١٩٤٨ ، ومع مرور الوقت توفوا . وكذلك ، اختفت طليعة « البوروخويين » القدامى ، في الحركة الصهيونية خارج اسرائيل ، ولم يحل محلها جيل جديد .

ان المحاولات الاخيرة لاحياء البوروخوفية واحياء الاهتمام بها ، تثير بالتالي سؤالا مزدوجا : من اين يأتي جمهور البوروخوفية الجديد ؟ ولماذا يتوقع المبعوثون والموقفون الصهاينة الى « بيع » ايديولوجية توقفت عن الحياة منذ امد طويل داخل الحركة الصهيونية نفسها ، الى هؤلاء الزبائن الجدد ؟

وهذه هي الاجابة

يبدو ان الاجابة على القسم الاول من السؤال يكمن في حقيقة وجود تشابه تقريبي بين الجو السياسي والفكري الراهن في الغرب ، والجو الذي كان موجودا في المكان والوقت اللذين ظهرت فيهما البوروخوفية اساسا الى الوجود (شرق اوروبا) في بداية هذا القرن .

انه من الصحيح ان الظروف الاجتماعية والاقتصادية العامة التي سادت في شرق اوروبا منذ ٦٠ عاما مضت ، تحمل قليلا من الشبه بالواقع الاجتماعي – الاقتصادي الحالي في الغرب ، وعلى وجه الخصوص ، كان وضع اليهود في الفترة الاخيرة للامبراطورية الروسية – كما سنحاول ان نبينه – مختلفا عن وضعهم الحالي في اي مكان بالعالم . ان التشابه ، الذي نريد ان نبينه ، محدد بشكل اساسي على الصعيد السياسي والفكري .

وهي تتضمن التالي :

لدينا ، في كلا الحالتين نمو رئيسي في الوعي الاشتراكي الثوري ، وقابلا بين صفوف الشبيبة ، ان حالة من الاثارة والشغب ، مشابهة تماما للفترات التي تسبق الثورات الكبرى ، تنشر اول ما تنشر بين الطلاب والمثقفين الشباب الاخرين ، بنشا وهي جديد للقضايا السياسية ، اما اللامبالاة والسخرية الزاجية فتفسحان الطريق امام مشاعر ملحة من الانتماء : تشكيل دوائر وحلقات واسعة ، مساجلات شديدة ، عمل مباشر . ولا يمكن لاي مثقف شاب واع ويحترم نفسه ان يمر بذلك كله دون اهتمام يجب ان يحدد رايا ، ويتخذ موقفا : ان يختار .

وكذلك فانه في كلا الحالتين (في اوروبا الان ، وفي اوروبا الشرقية قبل ٦٠ سنة) فان اليهود يلعبون دورا بارزا في مثل هذا التطور .

وكاقلية عرقية ثقافية ، تنتابها ذكريات الاضطهاد الجماعية في الماضي والحاضر ، فانهم حساسون تجاه القضايا الاجتماعية خصوصا ، وكمجموعة فيها نسبة عالية من المثقفين ، فليس من المستغرب انهم بارزون في الحركة الثورية .

وهكذا ، فان جيلا جديدا كاملا من اليهود الشباب اخذ يتسيس في اوروبا الغربية والاميركتين ، كما تسيس جيل اخر في الامبراطورية القيصرية . والان ، كما في الماضي عندما بيدأون في الاختيار ، يجدون انفسهم بين طريقين تؤديان الى اتجاهين متعارضين : الاشتراكية ام الصهيونية . وفي المسائل العملية فهذا اختيار بين المشاركة في النضال الثوري حيث هم ، او الاختيار للمشاركة في الاستعمار الصهيوني لفلسطين . وعلى الصعيد النظري فالاختيار يكون بين الماركسية ونوع غريب من القومية .

ان القرار ، بالنسبة للكثيرين صعب جدا . ان جاذبية الاشتراكية يواجهها على الكفة الاخرى ثقل المنشأ الطبقي البرجوازي الصغير ، وخاصة السايكولوجيا الاجتماعية الخاصة التي خلقتها ظروف التاريخ اليهودي . لقد حاولوا ان يساوموا : اختيار الصهيونية دون التخلي نهائيا عن الاشتراكية ، اي : « الصهيونية الاشتراكية » !

ولهذه المساومة مناهج كثيرة ، وليست البوروخوفية الا واحدة منها – وكما راينا ، فقد لاقت ، في الممارسة العملية نجاحا اقل بكثير من الاخريات ، واصبحت فرعا ميتا من الحركة الصهيونية . ولكن هناك شيء خاص حول البوروخوفية كايديولوجية .

اما الانواع الاخرى من « الصهيونية الاشتراكية » فتتضمن ، ببساطة ، اندماج هذين العنصرين غير المتجانسين ، وقابلا ما تحدث بعضهم عن « التوحيد » بين الصهيونية والاشتراكية ، ولكنهم بعملهم هذا ، اكدوا فقط حقيقة ان نظريتهم مستخلصة ومركبة من عنصرين وفذلكتين او مقدمتين مختلفتين تمام الاختلاف .

اما بوروخوف فقد فعل العكس لانه راح يحاول « استخلاص » الصهيونية من الماركسية، وادعى الانطلاق من موقف ماركسي بحت للوصول الى استنتاجات صهيونية دون طرح اي نوع من الافتراضات الاضافية الدخيلة .

وذلك هو ما يجعل البوروخوفية ، كنظرية ، اكثر جاذبية لشاب يريد ان يكون صهيونيا ، وقد تعرف على الماركسية ، لتوه ، بالمذاق ، ولان الماركسية في صميم طبيعتها نظرية كلية، فانها لا تمتزج جيدا في خليط مع مقومات غريبة خاصة وان « الجمع » بين الماركسية واي نوع من القومية غير مقبول تماما – وربما يكون ذلك اكثر صحة اليوم مما كان في بداية القرن ، في الوقت الذي اصبحت فيه القومية مشوهة تماما ولم تعد الزي السائد حتى لدى دوائر غير ماركسية .

ان الاشتراكيين في الوقت الحاضر – اكثر من اي وقت مضى – غير مستعدين لتاييد القضايا القومية ، ما لم يجر تبرير ذلك بمعزل عن تقديم اي تنازلات نظرية للقومية ، ولكن على اسس اشتراكية محضة ، مثلا ، حروب التحرر الوطني ضد الامبريالية .

كل ذلك يوضح الحاجة الجديدة للنظرية البوروخوفية : انها الطراز الوحيد الباقي لايديولوجية الصهيونية الذي يلائم اذواق اليهود الشباب في الغرب، والذين تسيسوا ، واصبحوا راديكاليين ويتعرضون للتيارات الاشتراكية المعاصرة وتقاليد الفكر الماركسي ، غير انهم لا زالوا يبحثون عن مساومة بين المشاركة في النضال الثوري او عدم المشاركة فيه .

ولدينا كذلك بضع كلمات نقولها عن تزويد الادبيات والدعايات البوروخوفية .

نود ان نشير الى ان الموردين الحاليين لهذه الايديولوجية ، ورسل وموظفي الالة الصهيونية ليسوا بوروخويين ، انهم لا ينتمون الى حزب بوروخوفي في اسرائيل، او الى حلقة بوروخوفية في الحركة الصهيونية .

لا وجود لمثل هذا الحزب او هذه الحلقة ، وليس لدى بياعي الجملة والباعة المتجولين المتخصصين في البوروخوفية ، ادنى قصد في خلق حزب او مجموعة ، وفي الواقع فانهم لا يؤمنون بكلمة من الانجيل الذي يبشرون به .

وخلال عام ١٩٦٨ ، اقام كاتب هذا المقال علاقات وثيقة مع مجموعة من الشباب كانوا قد وصلوا لتوهم من عدة اقطار امريكية لاتينية الى اسرائيل . وقد تعرضوا لخيبة امل اليمة عندما اكتشفوا ان الواقع الاسرائيلي يختلف عن الصورة التي رسمها في اذهانهم الرسل الاسرائيليون في بلادهم الاصيلة . واحدى الاشياء التي حيرتهم هي انهم لم يجدوا الراء للبوروخوفية التي تلقنوها في امريكا اللاتينية . ذات يوم ، صادف ان قابل احد افراد المجموعة في القدس المبعوث الذي ثقفه بالبوروخوفية .

(انهى ذلك المبعوث مدة خدمته في امريكا اللاتينية وعاد الى اسرائيل) . واثناء النقاش الذي دار بينهما ، الم صديقي – الذي غمره السرور لكونه قد وجد اخيرا بوروخيليا حقيقيا يستطيع ان يجري معه نقاشا شيقا – الم الموضوع بحماس ، فقال المبعوث : « آه ، بوروخوف ! لقد كان عالم اجتماع من الدرجة الثالثة نستخدمه فقط في امريكا اللاتينية لجذب الشباب اليهودي بعيدا عن « الكاستروية ! » فاجاب صديقي بحزن : « وانا كنت واحدا منهم .. » !

ان الجهاز الدعائي الصهيوني معد لاستخدام كافة انواع السبل لجذب الشباب اليهودي في الغرب بعيدا عن الكاستروية والتروتسكية ومختلف الافكار والحركات الضارة الاخرى ، واذا كانت احدى الوسائل هي تثقيف الشباب بمبدا لا يؤمن به الدعاة انفسهم ، فان الاخرين سيعزون انفسهم بان هذا ليس الا اجراءا مؤقتا والسبب « انهم (اي اليهود الشباب) عندما يأتون الينا ، سوف نستعيد المبادهة » .

الصهيونية البوروخوفية : مناقشة

ان الهدف من هذه المقالة هو اختبار مسالتين فيما يتعلق بالصهيونية البوروخوفية .

١ – في اي المجالات تختلف عن الانواع الاخرى من « الاشتراكية الصهيونية » ، التي ، على العكس منها ، لم تمت ولكنها اصبحت مسيطرة ؟

٢ – الى اي مدى تتوافق الافتراضات ، الواضحة والمتضمنة ، والتي وضعها بوروخوف بالنسبة للحقائق والديناميكيات الاجتماعية (خاصة في المجتمع اليهودي ، وكذلك في العالم ككل) تتوافق مع الواقع الراهن ؟

ومن الجهة الاخرى ، سوف لا نحاول ان نناقش طويلا الى اي مدى ترافقت البوروخوفية مع حقائق الواقع في بداية هذا القرن .

ولا نهدف هنا الى اقناع اولئك الذين يستخدمون البوروخوفية مجرد حجة ، انما نخاطب فقط اولئك الذين توصلوا الى البوروخوفية عبر بحث « حقيقي » لحلول للقضايا التي تؤرقهم ، والذين هم مستعدون للتفكير بجدية ، وعدم جمود عقائدي ، حتى حول موقفهم « الحالي » الذي توصلوا اليه في بحثهم .

ولا يشعر هذه المقالة انه مخول ليهزا او يسخر بهؤلاء الناس ، وقد مر هو ايضا ، في نضاله لتحرير نفسه من الايديولوجية الصهيونية، مر اولا بطور بوروخوفي .

١ – افتراضات اساسية

طبقا لما يقوله بوروخوف ، فان اليهود في جميع انحاء العالم يؤلفون امة ، ففي مقالته « الصراع الطبقي والمسالة القومية » حيث يناقش المسالة القومية بالعموم ، يحدد الامة بانها « فئة اجتماعية تطورت على اساس الظروف المشتركة للانتاج و .. فوق ذلك ، يوحدها شعور بالصلة (بالقرابة) على اساس ماض تاريخي مشترك » .

ورغم اننا نعتقد ان هذا التحديد العام في كاف ، وان الزعم القائل ان اليهود يؤلفون امة انما هو كلام فارغ ، فاننا نقترح الا نناقش هذه النقطة هنا . ان ما يهمنا هنا ليس الاصطلاحات الفنية ولا المفهوم العام كذلك ، ولكن الافتراضات « الواقعية » و « الملموسة » التي جعلت بوروخوف يهتم بالشعب اليهودي(★)

اذن ، فلنعد الى الخط الذي انبعه في المناقشة .

« ان ظروف الانتاج العامة ، التي هي ايضا الوعاء والقاعدة لكافة الظروف الداخلية وكذلك القناة للتاثيرات الخارجية » ، هي الوطن القومي – ص ١٩٣ ، برنامجنا – . وعليه ، ان الوطن القومي هو « الاساس الايجابي » الذي ترسي عليه الامة حياة قومية خاصة بها . (نفس المصدر) .

ان اليهود الذين ينقصهم هذا الاساس الايجابي ، هم (كما يقول بوروخوف) امة شاذة لا ارض لها . وجودهم القومي يحدده عامل « سلبي » محض ، ولما كانوا يعيشون في محيط قومي اجنبي لامة طبيعية اخرى ، فقد نزعوا الى ان يتلاءموا معها وينتحلوا طبيعة المجتمع المحيط بهم .

بيد ان المنافسة الاقتصادية بين اليهود والامة المضيفة قد صدت واعاقت هذا النزوع ، ولان « المنافسة القومية هي دائما حول الممتلكات المادية للامم » ، خاصة حول الوطن ، وليس لليهود وطن ، لذلك فهم ينهزمون دائما في المنافسة القومية – ص١٩٥ ، برنامجنا – . وهذا يؤدي الى فصلهم وعزلهم عن الامة المضيفة . اولا ، يجري دفعهم الى القطاعات الاقتصادية التي لم تشغلها الامة المضيفة بعد – وعلى العموم ليست هذه القطاعات هي القطاعات البدائية (الزراعة ، انتاج وسائل الانتاج) بل القطاعات الثانوية (مراحل الانتاج الاخيرة) التجارة) .. ان هذا العزل ليس تاما .

ثم تدخل الامة المضيفة في منافسة مع اليهود حتى في القطاعات التي سمح لليهود باشغالها في وقت سابق وعندئذ ينعزل اليهود انعزالا تاما – ص١٩٧ ، برنامجنا – .

وحتى هذه النقطة فان بوروخوف لم يقل لنا اي شيء جديد . فثمة تحاليل مشابهة جرى شرحها ليس فقط من قبل بعض « صهيونيين اشتراكيين » اخرين ، بل وايضا من قبل صهيونيين برجوازيين بما في ذلك هرتزل .

ودون الغوص في مسالة الى اي مدى يتطابق هذا التحليل مع حقائق التاريخ اليهودي عموما، نستطيع القول انه ، بالاجمال ، يبدو انها تقدم صورة معقولة (مع انها ربما تكون غير دقيقة) لوضع اليهود في الوقت والمكان اللذين كان يكتب فيهما بوروخوف ..

ومن الجهة الاخرى ، اذا قارنا ذلك التحليل بظروف اليهود اليوم (وخاصة في البلدان التي انتشرت فيها بنشاط الافكار البوروخوفية في الوقت الحاضر – الولايات المتحدة ، امريكا اللاتينية ، المانيا ، فرنسا ، انكلترا .. الخ) نجد ان تحليل بوروخوف اقل معقولية بكثير . وبينما يبدو القول بان اليهود يتركزون في قطاعات اقتصادية معينة ، صحيحا (ليس الى نفس الحد كما في روسيا في بداية القرن) ، فانهم ليسوا ، على وجه العموم ، معزولين او مفصولين عن الامم المضيفة عبر منافسة اقتصادية . وبالطبع ، توجد منافسة راسمالية، ولكنها ليست غالبا منافسة قومية بين افراد الامة المضيفة من جهة ، واليهود من الجهة الاخرى ، بحيث ان الاخيرين ، كمجموعة ، هم الخاسرون دائما .

كان اليهود في روسيا القيصرية محاصرين – طبقا للقانون – في مناطق معينة ، كانت نسبة الطلاب اليهود في الجامعات تحدد بموجب مواد قانونية عديدة ، ولم يسمح لهم بشغل وظائف ومهن متعددة الخ . ونتيجة لذلك ، عزلت الجماهير اليهودية ، التي كانت تفقد دورها الاقتصادي التقليدي ، عزلت الى حد ما عن المجتمع ، وتدفعت واجبرت على الهجرة .

لا وجود لهذه العملية ، مثلا ، في الولايات المتحدة (حيث توجد اكبر طائفة يهودية في العالم) . وان القوى المطالبة بالدمج هي بالتاكيد القوى من تلك التي تطالب بالانعزال .

وبالطبع ، بامكان المرء ان يدعي بان عملية الدمج هذه ستقلب يوما ما ، غير ان هذا الادعاء لن يصبح اكثر من مجرد ادعاء طالما ان المرء لا يكشف عن سبب اقتصادي – اجتماعي معقول يؤدي لحدوث ذلك .

وعلى كل ، فان الاسباب التي ثارت في روسيا القيصرية مفقودة كلية في امريكا ، ففي روسيا ، شغل اليهود اولا مهنا اقتصادية معينة (في بعض الصناعات المهنية وفي التجارة) كان المجتمع الروسي بحاجة اليها ، ولكنه لم ينفذها لانه كان لا يزال اقطاعيا او شبه اقطاعي. وفي مجتمع كهذا ، ثمة مكان طبيعي للغرباء نسبيا الذين يقومون بمهمات مفيدة للمجتمع ولكنها لا تشكل جزءا عضويا منه ، وفيما بعد ، عندما تطورت الراسمالية في روسيا، اصبحت الوظائف التقليدية لليهود اما غير ضرورية او انتزعها غير اليهود . وزيادة على ذلك ، فان الفئة العليا من البرجوازية اليهودية في روسيا – كما ذكر بوروخوف نفسه – لم تتضرر كثيرا بسبب تلك العملية ، وجنحت لتلاءم مع الظروف الجديدة، وكان الضحايا الحقيقيون عدد كبير من صغار الطبقات المتوسطة والمهنيين الصغار ، الشرائح الاكثر فقرا من الطبقة المتوسطة الدنيا . ولكن كيف يمكن ان يكون كل هذا صحيحا بالنسبة لاي طائفة يهودية كبيرة حاليا ؟ ذلك غير حادث على الاطلاق . ان كل هذه الطوائف ، اما انها لا تعيش في بلدان ما قبل الراسمالية او انها لا تؤلف تركيبة اجتماعية تجعلها ، خصوصا ، قابلة لتطور راسمالي .

نريد ان نوضح هنا باننا لا نزعم بان المسالة اليهودية لم تعد موجودة ، ليست تلك هي المسالة التي نناقشها . ان المسالة التي نحن بصددها هي : الى اي مدى يعكس تحليل بوروخوف للمعضلة اليهودية واقع الحياة اليهودية في الوقت الحاضر ؟ واستنتاجنا هو ان ملاءمة ذلك الجزء من تحليله الذي تتبعناه يدعو للشك بشكل شديد .

ولنتابع تحليله .

٢ – البروليتاريا اليهودية

ان احدى النقاط المركزية التي تختلف فيها البوروخوفية عن الانواع الاخرى من « الصهيونية الاشتراكية » هي زعمها بانها تستخلص الصهيونية ليس من دينامية ومصالح الشعب اليهودي عموما ، او حتى من دينامية ومصالح الطبقات المتوسطة الدنيا اليهودية ، ولكن – خصوصا – من « مصالح البروليتاريا اليهودية » .

ومن وجهة نظر بوروخوف ، ليس من الصائب التحدث عن مسالة يهودية بطريقة عامة ، دون القيام بعمل اي تمييز طبقي ، وليس بكاف اظهار ان الدينامية الغيتوية والمصلحة الحقيقية لاكبر طبقة يهودية في وقته (اي : الطبقة المتوسطة الدنيا) تقودان الى الصهيونية .

يقول في كتابه « برنامجنا » – ص ٢٦٤ – « ان شذوذ الشعب اليهودي ككل يهمنا فقط ك « تفسير موضوعي » لمسائل التناقضات في حياة الطبقة العاملة ، ولكن اطروحتنا الدائية في برنامجنا تنبثق فقط من المصالح الطبقية للبروليتاريا اليهودية المناضلة . »

ويحدد اكثر من ذلك – ص ٢٤٠ – :

« واذا تبين ان مصالح البورجوازية اليهودية في الواقع ، ومصالح تلك الجماهير التي على وشك ان تصبح بروليتارية (اي الطبقة المتوسطة الدنيا – ص٢٠٣) ، ستقودهم الى الاقليمية (اي الى حل اقليمي للمسالة اليهودية – ص٢٠٣) ولكن فان ان مصالح البروليتاريا اليهودية لا علاقة لها بالاقليمية – اذا ، ليس هناك اي اسس للقول بان مستقبل الشعب اليهودي ككل هو ايضا مستقبل البروليتاريا اليهودية . وينبغي اولا تحد المستقبل القومي – العام كنقطة انطلاق ونستخلص منه مستقبل البروليتاريا ، بل على العكس ، ينوجب ان تاحد مصالح البروليتاريا كنقطة بداية ، ومنها نتوصل الى مستقبل الامة كلها .. من نقطة الانطلاق لمصالح البروليتاريا اليهودية المماثلة ، ومن نظرتنا اليها كطليعة للمستقبل اليهودي ، نستخلص ضرورة امتلاك الرض للشعب اليهودي ككل » .

وينبغي التاكيد بان بوروخوف عندما زعم بان صهيونيته تعبر عن الحركة الموضوعية ومصالح الطبقة العاملة اليهودية ، فانه لم يكن يتكلم عن طبقة محتملة في المستقبل ، بل عن طبقة موجودة بالفعل . وهو بوضع ذلك بجلاء تام ليس فقط في الملاحظات الواردة اعلاه ، ولكن عدة مرات ، وفي اماكن عدة . وبشكل خاص ، فان بداية الفصل الخاص من « برنامجنا » يتضمن مناقشة مفصلة حادة ضد نظريات اليسار – الصهيوني المناقض ، بشكل خاص حول هذه النقطة .

ويحتل هذا مكانة مركزية في النظرية البوروخوفية ، بحيث ان النظرية من دونه ، تفقد حتى ادعاؤها الرسمي في ان تعتبر كصهيونية بروليتارية ، وتصبح صهيونية عادية (اي « لا طبقية » او بورجوازية) .

كانت « باعولي تصيون حمول » المجموعة الصهيونية الوحيدة التي تلتزم بهذا الراي ، بدرجة من التماسك . وقد عارضت كل المجموعات والاحزاب الاخرى – بما فيها « باعولي تصيون » على نحو مختلف عن « حمول » ، وكل الاحزاب والفرق التي تتواجد حاليا كقوى منظمة في الحركة الصهيونية – هذه الفكرة البوروخوفية المركزية . انهم يطرحون الصهيونية كحركة قومية يهودية من دون اي اشارة خصوصية الى الطبقات ، او تبرر الصهيونية كضرورة لخلق البروليتاريا اليهودية – وهو تبرير لم يقبل به بوروخوف . وهذه احد الاسباب التي لا يمكن بها اعتبار كل هذه الاحزاب والفرق بوروخوفية. والادعاءات التي تقول العكس ، التي تبرد من وقت لاخر ، قائمة على ارتباك نظري او عدم امانة فكرية ، او على الامرين معا .

ومن جهة اخرى ، ليس من الصعب فهم ما دعا بوروخوف الى الاصرار بشدة ، على الطبيعة البروليتارية لفهمه للموضوع ، وجعلها عاملا رئيسيا لصرحه النظري . وكما ذكرنا في مقدمتنا، فان الاختيار الحقيقي له ، ولكل الشبيبة اليهودية من جيله الواعية سياسيا ، في روسيا، كان بين الحركة الثورية الروسية وبين الصهيونية . ولكن اختيار الحركة الثورية الروسية كان يعني العمل لمصلحة الطبقة العاملة الروسية والاممية ، من اجل انعتاقها ، والذي من شانه ان يؤدي الى انعتاق البشرية جمعاء .

ولكن ماذا عنت الصهيونية ؟ اذا كانت قد عنت العمل لمصلحة « امة يهودية » بشكل عام ، دون اي اشارة الى الطبقية ، او لمصلحة الطبقات المتوسطة اليهودية – عندئذ ، فان من كان متاثرا جدا بالافكار الاشتراكية – الاممية عليه ان يرفض الصهيونية كانحراف غير شرعي . ولكن اذا اراد ان يكون صهيونيا فعليه ان يعقلن ويصحح الصهيونية كتعبير عن مصالح البروليتاريا اليهودية ، ومن لم يستطيع ان يقول لنفسه انه رفض كل شيء ، فان النضال من اجل البروليتاريا اليهودية ليس باقل اهمية من النضال من اجل البروليتاريا الروسية ، ومن الطبيعي لثوري يهودي ان تكون الاولوية لطبقته العاملة .

(في العدد القادم سنرى كيف يطور بوروخوف تحليله للظروف والمصالح الخاصة للطبقة العاملة اليهودية) .

(★) نستخدم تعبير « الشعب اليهودي » كاسم جماعي لليهود في العالم قاطبة ، دون اي ادعاء نظري في كونهم يؤلفون امة ام لا .